المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 21 آيار 2026
No.21 May 2026

بطن القرآن الكريم لدى المفسرون وأثره في التفسير

م.م ماجد حميد حسين
مشرف تربوي
المديرية العامة لتربية واسط / قسم الاشراف التربوي

الملخص:

بطن القرآن الكريم من المواضيع التي أثارها المفسرون في دراساتهم القرآنية، ويقصد به ما يشتمل عليه القرآن من معاني دقيقة وعميقة تتجاوز الظاهر من النصوص، فتناول المفسرون بطن القرآن الكريم من جوانب متعددة، إذ اعتبروا أن بعض آياته لا تقتصر على المعنى الظاهري المباشر، وإنما تشتمل على معاني باطنية تحتاج إلى تأمل عميق وتفسير دقيق لفهم مقاصدها الحقيقية، وقد اعُتمد في تفسير بطن القرآن على أدوات متعددة كاللغة، والسياق التاريخي، والقراءات المختلفة، والقرائن المعنوية، إضافة إلى ما يمكن استخلاصه من خلال التأويل والشرح الرمزي، كان بطن القرآن الكريم في التفاسير بالغ الأثر، إذ إن مفسري القرآن الذين تأثروا به قد تنوعت أساليبهم في فهم وتفسير الآيات التي تحتوي على معاني باطنية، فيتطلب تفسير بطن القرآن الكريم قدرة عالية على فهم الطبقات المتعددة للآية، مع مراعاة الفروق بين التفسير الظاهري والتفسير الرمزي، وقد انعكس ذلك على المدارس التفسيرية المختلفة، وعلى الرغم من أن بعض المفسرين كالمعتزلة اعتمدوا في تفسير بطن القرآن على العقل والمنطق، فإن مدرسة التصوف قد تناولت التفسيرات الباطني بطريقة مغاير، إذ اعتبرت أن القرآن يحتوي على معاني خفية لا يمكن إدراكها إلا عبر تجارب روحانية وفتح رباني، بالإضافة إلى ذلك فإن التأويل الباطني عند بعض المفسرين كان يحمل أبعاداً تصوفية فلسفية، تربط بين النص القرآني وفهم الإنسان للوجود والحقيقة، إن بطن القرآن الكريم قد ساهم في إثراء التفسير القرآني بطرق متنوعة، مما تسبب بتطوير الكثير من مدارس المفسرين التي تعكس تبايناً في فهم النصوص وتفسير معانيها العميقة، إذ يعكف العلماء على محاولة استكشاف ما وراء الظاهر من النصوص، مما يعمق الفهم الديني والفكري للقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: بطن القرآن، معاني القرآن، التأويل، المفسرون، المدارس التفسيرية

The Inner Meaning of the Qur'an According to the Exegetes and Its Impact on Interpretation

A.L. Majid Hamid Hussein
Educational Supervisor
General Directorate of Education of Wasit
Educational Supervision Department

Abstract:

Logically, the Sufi school approached esoteric interpretations differently, considering that the Quran contains hidden meanings that can only be understood through spiritual experiences and divine revelation. In addition, the esoteric interpretation of some interpreters carried Sufi-philosophical dimensions, linking the Quranic text to human understanding of existence and truth. The inner meaning of the Quran has contributed to enriching Quranic interpretation in various ways, leading to the development of many schools of interpreters that reflect a diversity in understanding texts and interpreting their profound meanings. Scholars are dedicated to exploring what lies beyond the

apparent meaning of the texts, which deepens the religious and intellectual understanding of the Quran.

Keywords: the inner meaning of the Qur'an، Qur'anic meanings، interpretation، interpreters، interpretive schools.

المقدمة:

يعد التفسير القرآني من أعمق وأهم مجالات الدراسات الإسلامية، إذ يسعى العلماء والمفسرون إلى استخراج معاني القرآن الكريم وفهم مقاصده بما يتوافق مع سياق النصوص وتوجهاتها، ومن بين أبرز المفاهيم التي أثيرت في مجالات التفسير هو "بطن القرآن الكريم"، الذي يشير إلى المعاني المخفية أو العميقة غير الواضحة من القراءة الأولى للنصوص، هذا المفهوم يحيلنا إلى الفهم الواسع والمعقد الذي يتجاوز الظاهر إلى ما يمكن أن يكون وراء الكلمات والعبارات الظاهرة في القرآن الكريم، لذلك كان لبطن القرآن دور كبير في تطوير أساليب التفسير وتوجيه العلماء نحو قراءة أعمق للنصوص القرآنية، فتعد مسألة بطن القرآن من المواضيع التي شغلت المفسرين على مر العصور، إذ اعتبروا أن بعض الآيات تحتوي على معاني باطنية أو رمزية لا يمكن أن تُفهم بشكل كامل إلا من خلال التأويل أو التفسير الرمزي، فتنوعت التفسيرات حول هذه المعاني الباطنية، إذ نجد أن بعضهم قد اعتمد على العقل والمنطق لاستخراج تلك المعاني، بينما كان آخرون يعتمدون على التفسير الصوفي الذي يرى في القرآن الكريم أبعاداً روحانية وفكرية عميقة، ومن هذا المنطلق يعتبر بطن القرآن جزءاً أساسياً من التفسير الذي يعكس تعددية الفهم واختلاف مدارس الفكر التي عالجت القرآن الكريم عبر التاريخ، وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم بطن القرآن لم يقتصر على المفسرين التقليديين، بل كان له أثر واضح في تطور الدراسات القرآنية بشكل عام، فقد حاول بعض المفسرين التوفيق بين الظاهر والباطن في تفسيرات النصوص، بما يعكس التوازن بين الفهم اللغوي الدقيق وبين التأويل الذي يأخذ بعين الاعتبار السياقات الاجتماعية والتاريخية والفكرية، فهذا الفهم العميق للنصوص القرآنية ساعد في فتح آفاق جديدة من التأويل الذي قد يُظهر بعداً آخر من المعنى لم يكن متاحاً بالقراءة السطحية فقط، وبناءً على ذلك فإن التفسير الباطني أو بطن القرآن يمثل أحد المفاتيح لفهم القرآن الكريم بشكل أعمق وأكثر تنوعاً، ويستمر في التأثير على كيفية تعامل العلماء مع النصوص المقدسة، وتقديم قراءات جديدة تواكب تطور الفكر الإنساني وتطوراته.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث في التركيز على كيفية تعامل المفسرين مع بطن القرآن الكريم وأثر ذلك في تطوير أساليب التفسير القرآني، إضافة إلى فهم العلاقة بين المعاني الظاهرة والباطنية للآيات، كما يسهم البحث في إثراء الدراسات القرآنية وتحفيز النقاشات المعرفية حول طرق فهم القرآن الكريم وتفسيره.

هدف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى بحث كيفية تناول المفسرين لمفهوم "بطن القرآن الكريم" وتأثيره في تفسير النصوص القرآنية، كما تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف كيفية تأثير هذا المفهوم على تطورات المدارس التفسيرية المختلفة، وبالأخص المدارس التي اعتمدت على التأويلات الباطنية مثل مدرسة التصوف أو المعتزلية، ومدى تأثيره على فهم القرآن الكريم في السياقات المعرفية المختلفة.

مشكلة البحث:
تتجسد مشكلة الدراسة في التحدي الكبير الذي يواجه المفسرون عند محاولة الوصول إلى المعاني الباطنية للنصوص القرآنية، وتثار تساؤلات عديدة حول الحدود بين التفسيرات الظاهرية والتفسيرات الباطنية، وما هي المعايير التي يمكن اعتمادها لفهم "بطن القرآن" بشكل صحيح دون الوقوع في الإفراط أو التفريط، كما أن مشكلة البحث تتركز في كيفية تحديد العلاقة بين التفسيرات التقليدية والتفسيرات الرمزية في الدراسات القرآنية.

السؤال الرئيسي:
ما هو تأثير مفهوم "بطن القرآن الكريم" في تفسيرات نصوص القرآن، وكيفية تناول المفسرين لهذا المفهوم عبر العصور المختلفة؟

الأسئلة الفرعية:
١. ما هي أبرز الأدوات والمنهجيات التي اعتمدها المفسرون لفهم بطن القرآن؟
٢. كيف اختلفت مدارس التفسير في معالجتها بطن القرآن، كالمدرسة السنية، والشيعية، والمعتزلة؟
٣. ما هي أبرز التحديات التي واجهها مفسري القرآن عند التعامل مع بطن القرآن الكريم؟
٤. كيف أثر التفسير الباطني على الفهم المعاصر للقرآن الكريم؟
٥. ما دور التأويل الصوفي في فهم بطن القرآن الكريم؟

منهج البحث:
اعتمدت هذه الدراسة على منهج التحليل الوصفي، إذ يتم دراسة النصوص القرآنية التي تناولها المفسرون عبر اختلاف العصور مع التركيز على كيفية تفسير بطن القرآن الكريم. وتحليل آراء كبار المفسرين كالطبري، والغزالي، والفخر الرازي، وابن عربي، وغيرهم، من خلال مراجعة أشهر كتب التفاسير، مع تسليط الضوء على التفسيرات الباطنية. كما سيتم الاستفادة من منهجية مقارنة بين المدارس التفسيرية المختلفة لفهم كيف تأثر هذا المفهوم بالتطورات الفكرية في العالم الإسلامي، سيتضمن البحث أيضاً تحليلاً نقدياً للآراء المختلفة حول "بطن القرآن"، مع مناقشة النقاط التي تثير الجدل بين العلماء، ومن خلال هذه المنهجية، يسعى البحث إلى تقديم رؤية شاملة حول تأثير بطن القرآن على التفسير القرآني وكيفية تطوره عبر الزمان.

المبحث الأول: مفهوم بطن القرآن الكريم

يُعد القرآن الكريم كتابًا معجزًا يمتاز بعمق معانيه وتعدد طبقات فهمه، إذ يتجاوز في تفسيره حدود الفهم السطحي والنظرة المباشرة للنصوص، فهو كتاب يحتوي على أبعاد فكرية وروحية ونفسية، وقد تبين بوضوح عبر العصور أن القرآن الكريم لا يقتصر في تفسيره على المعاني الظاهرة فقط بل يشمل أيضًا معاني باطنية أو خفية تحتاج إلى تأمل وتأويل بعيد عن الوعي الظاهر، ومن هنا نشأ مفهوم "بطن القرآن" الذي ارتبط بتفسيرات القرآن الكريم بطريقة عميقة ومتعددة الجوانب، إذ يرتكز هذا المفهوم على المعاني المستورة غير الظاهرة للعين المجرّدة من القراءة الأولى، قال ابن مسعود: "إن القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وإن علي بن أبي طالب عليه السلام عنده منه علم الظاهر والباطن والمراد من بطن القرآن تأويله"[1] كما قال تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)[2]، ويشير مصطلح "بطن القرآن" إلى تلك الطبقات المخفية من المعاني التي تتطلب أدوات عقلية

[1] علي بن ابراهيم القمي، تفسير القمي، ج22، دار الكتاب، قم، إيران، ط3، 1404هـ، ص14.
[2] القرآن الكريم، آل عمران، الآية 7.

وروحانية خاصة لفهمها، وهذا ما جعل العديد من العلماء والمفسرين يبحثون في هذه الأبعاد العميقة الكامنة خلف ظاهر الكلمات لنصوص القرآن، فيحتوي القرآن الكريم على نصوص قد تكون واضحة جلية في معانيها، لكن في الوقت نفسه، وتوجد آيات تحتوي على معانٍ متعددة قد لا تُدرك إلا بعد التأمل العميق فيها، كقول الله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[1]، نجد أن هذه الآية قد تفسر تفسيراً ظاهرياً باعتبارها دعوة للتفكر في قدرة الله في خلق الكون، ولكن المفسرين الباطنيين يرون أن هذه الآية قد تحمل معاني أعمق تتجاوز مجرد التأمل في الظواهر الكونية لتصل إلى الكشف عن أبعاد معنوية وروحانية تتعلق بالفطرة البشرية وعلاقتها بالخالق، مما يدعو إلى التفكر في معاني الوجود وأسرار الكون المخبأة ظواهر طبيعة، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص هذه الآية: "ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها"[2].

بدأت فكرة بطن القرآن في التطور مع الفلاسفة والمتصوفة الذين ارتبطت تفاسيرهم بتأويلات رمزية تتجاوز الظاهر وتبحث فيما وراء النصوص، وقد كانت الفلسفة الصوفية من أولى المدارس التي استخدمت هذا الأسلوب من التأويل، إذ رأى الصوفية أن القرآن يحتوي على معانٍ لا يستطيع العقل البشري الظاهر أن يدركها، ويجب التوصل إليها عبر التصوف والتجربة الروحية. وهذا ما يُفهم من خطبة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حين قال: "إن القرآن ظاهره أنيق و باطنه عميق لا تفنى عجائبه و لا تنقضي غرائبه و لا تكشف الظلمات إلا به"[3]، ما يعني أن هناك معاني عميقة كامنة وراء الظاهر، ومن أبرز الشخصيات المُفسرة لبطن القرآن الكريم من خلال التأويل الفلسفي والروحاني كان الغزالي[4] وابن عربي[5]، الذين أضافوا أبعادًا جديدة للتفسير، الغزالي يركز على فكرة أن القرآن ليس مجرد كلام بل هو تجلٍ

---

(1) القرآن الكريم، آل عمران، الآية 190.

(2) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج8، دار الحديث، قم، ط1، 1375، ص129.

(3) آمدي، عبدالواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج1، دار الهادي، بيروت لبنان، 1992م، ص 56.

(4) أبوحامد محمد بن محمدالطوسي الغزالي، ولد بطوس في العام خمسين وأربعمائة، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في حانوته، ثم رحل لأبي نصر الإسماعيلي بجرجان، وإلى إمام الحرمين بنيسابور، وندب للتدريس بنظامية بغداد سنة أربع وثمانين فقدمها في تجمل كبير وتلقاه الناس ونفذت كلمته، وعظمت حشمته حتى غلبت على حشمة الأمراء والوزراء، وضربت به الأمثال، ثم خرج إلى الحجاز في سنة ثمان وثمانين فحج وعاد إلى دمشق واستوطن بها عشر سنين في منارة الجامع، وكانت وفاته بطوس صبيحة نهار الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة، وعمره خمس وخمسون سنة، ينظر: الإسنوي، جمال الدين عبدالرحيم ، المهمات في شرح الروضة والرافعي، تح: أبو الفضل الدمياطي، أحمد بن علي، دار ابن حزم، ط1، 2009، ص287؛ ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج10، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م، ص114.

(5) محمد بن علي بن محمد بن العربي، أبوبكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين بكل علم. ولد بمرسية (بالأندلس) وانتقل إلى إشبيلية، وقام برحلة، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، واستقر في دمشق، فتوفي فيها. ينظر: الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن، فوات الوفيات، ج2، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974، ص241؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، تح: شعيب الأرناؤط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1986، ص190.

للحقائق الإلهية التي يجب على الإنسان أن يتفكر فيها ليصل إلى أعلى درجات الفهم الروحي[1]، أما ابن عربي، فقد أشار إلى أن القرآن الكريم يحتوي على معاني باطنية لا يستطيع الفهم الظاهري الإحاطة بها، بل يجب أن يتعدى المفسر مرحلة الفهم الحرفي للآيات ليدرك المعاني الرمزية والباطنية التي تتعلق بالعلاقة الروحية بين الإنسان وربه. ويظهر ذلك في تفسيره لقول الله عز وجل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)[2]، التي يرى فيها رسالة عميقة حول الطاعة الإلهية المتجاوزة الظاهر بهدف الوصول إلى الطاعة القلبية والفكرية، وفي العصور المبكرة من التفسير القرآني، كان المفسرون يعتمدون في الغالب على التفسير الظاهري، وكانوا يركزون على المعاني الظاهرة التي يتضمنها النص القرآني من خلال دراسة اللغة والسياق النحوي، فمثلًا، كان الطبري والقرطبي من أبرز المفسرين الذين اهتموا بالتفسير اللغوي والنحوي[3] وكانوا يرون أن القرآن يجب أن يُفهم من خلال السياق الظاهر للنصوص، ومع ذلك ظهرت مدارس فكرية أخرى لاحقاً في تاريخ التفسير القرآني، مثل مدرسة المعتزلة التي أدخلت عنصر العقلانية في التفسير، وأكدت على أهمية فهم القرآن في ضوء العقل والمنطق[4]، فاعتبر المعتزلة أن القرآن يجب أن يُفهم وفقاً للمبادئ العقلية التي تضع العقل في المقام الأول، وكانت هذه المدرسة تؤمن بأن هناك معاني مخفية وراء النصوص قد تدعو إلى تفسيرها بعقلانية تتجاوز التفسير الحرفي، فرأوا في بعض الآيات التي قد تكون متناقضة ظاهرياً دعوة لفهم المعنى العميق الذي يربط هذه الآيات بالعقل البشري وقدرته على إدراك الحقيقة، ومن جهة أخرى فقد تطورت التفسيرات الباطنية في المدارس الفلسفية التي ركزت على البحث في معاني الآيات والحديث النبوي الشريف عن طريق الرمزية، فقد تناول البعض حديث "إنما الأعمال بالنيات"[5]، إذ يذهب المفسرون الباطنيون إلى أن النية لا تقتصر على معاني ظاهرية فحسب، بل تشمل الباطن الذي يتعلق بالقلب والتوجه الروحي للإنسان تجاه عمله، وفي هذا الإطار يرى أن التفسير الظاهري يكون غير كافٍ في بعض الأحيان لفهم أعمق للمعاني التي يُراد من المسلم إدراكها من خلال العمل الداخلي والمقاصد الخفية، وعلى الرغم من الاختلافات بين المدارس الفكرية المختلفة في تفسير بطن القرآن، إلا أن جميعها أجمعت على أن القرآن الكريم لا يقتصر على المعاني الظاهرة فقط، بل يتضمن طبقات متعددة من المعاني التي قد لا تظهر في القراءة الأول، فكل من المفسرين التقليديين والمتأملين الروحيين اعتبروا أن القرآن الكريم يحتوي على غموض لا يمكن إدراكه إلا بواسطة تأويلات دقيقة وصادقة، وهذا يبرز في قول الله تعالى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[6]، إذ يشير هذا إلى أهمية التأمل والتفكر في النصوص القرآنية لاستخراج معانيها الباطنية التي قد تكون مغلقة على من يقرأها سطحياً[7].

يمكن القول إن مفهوم "بطن القرآن" يمثل أحد المفاهيم المركزية في تفسيرات النصوص القرآنية الكريمة التي تتطلب الفهم العميق، وضرورة البحث وراء المعاني الظاهرة، فقد تناول العديد من العلماء والمفسرين هذا المفهوم بأساليب مختلفة تعكس فهماً متعدد الأبعاد للقرآن،

---

[1] إبراهيم زكي خورشيد، موجز دائرةالمعارف الإسلامية، ج25، مركز الشارقة، ط1، 1998، ص7912.

[2] القرآن الكريم، النساء، الآية 64.

[3] الطيار، مساعد، التفسير بالرأي مفهومه حكمه أنواعه، مجلة البيان، العدد127، تاريخ1998م، ص20.

[4] شريف، صلاح الدين، العقل عند المعتزلة، مجلة الرسالة، العدد377، تاريخ1940 م، ص27.

[5] المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمه الأطهار، ج67، دار الوفاء، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص211.

[6] القرآن الكريم، محمد، الآية 24.

[7] النبهان، محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 2005م، ص75.

متمثلًا في التفاسير العقلية والفلسفية والروحية، الأمر الذي دفع هذا بالعلماء إلى البحث المستمر لفهم أعمق لمقاصد القرآن الكريم، وهو ما فتح آفاقاً واسعة للتأويل الذي يعكس المدى اللامحدود لمعاني الكتاب السماوي.

المبحث الثاني: أثر بطن القرآن في تطوير التفسير القرآني

لقد أسهم مفهوم "بطن القرآن" في تطوير التفسير القرآني على مدار العصور الإسلامية بطرق عميقة ومعقدة، فالأخبار والإشارات تنفي أي شك في أن الطرق الأولى لتفسير القرآن الكريم تعود لصدر الإسلام[1] فكان التفسير القرآني يقتصر في معظمه على الشرح الحرفي للآيات بناءً على معانيها الظاهرة واللغوية، إذ كان المفسرون يعتمدون على أساليب تفسير تقليدية تركز على توضيح معاني الكلمات والجمل وفقًا للسياق النحوي واللغوي، وتركزت الجهود المبذولة في فهم القرآن على الأساس الظاهر للنصوص القرآنية، وكان المفسرون يعتمدون على قواميس اللغة العربية وعلم النحو لشرح الآيات، بينما كانت المعاني التي تندرج وراء تلك النصوص تُفهم بشكل محدود، لكن مع مرور الوقت، ظهرت مدارس فكرية إسلامية جديدة أدخلت أبعاداً جديدة إلى طريقة التفسير القرآني، وهو ما تسبب بشكل فعال في تطوير التفسير القرآني على مدار الزمن، ومن أبرز هذه المدارس كان الفكر المعتزلي، الذي كان له دور كبير في الأثر على تفسيرات القرآن الكريم. أضاف المفسرون المعتزلة إلى تلك التفسيرات القرآنية بعداً عقلياً وفلسفياً، إذ ركزوا على ضرورة الاستفادة من العقل والمنطق لفهم الآيات القرآنية، هذه المدرسة كانت تؤمن بأن العقل الإنساني قادر على استنباط معاني أعمق من النصوص، وبالتالي، لم تقتصر تلك التفسيرات على الظاهر وإنما شملت استنباط معانٍ عقلية وفلسفية من آيات القرآن الكريم[2].

فمثلاً، في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[3]، نجد أن المفسرين المعتزلة قد فسروها وفقاً للفهم العقلاني الذي يشير إلى أن الإنسان، بما أنه يمتلك عقلاً فهو الذي يقرر مصيره ولا يعذبه الله ظلماً، وعليه كانت هذه الآية في نظرهم دعوة للمسؤولية الذاتية والوعي بالاختيارات الشخصية التي تؤثر على المصير، وهو تفسير يبتعد عن الفهم التقليدي الذي قد يكون أكثر سطحية، هذا التفسير العقلاني أضاف بُعداً فلسفيًا من خلال ربط الآية بالقيم الأخلاقية التي تدعو الإنسان إلى أخذ مسؤولية أعماله وقراراته، فقد أجمع المعتزلة على اختلاف فرقهم على نفي الصفات الإلهية وعارضوا كل فكرة تتنافى مع وحدة الله ولكي ينزهوا الله عن الظلم اعترفوا للإنسان بالحرية التامة في خلق أفعاله فكان من تعاليمهم أن إدراك وسائل الخلاص وطرق النجاة إنما ترجع إلى سلطان العقل[4]، وفي المقابل ظهرت المدرسة الصوفية التي اعتمدت على التأويل الباطني والرمزي للآيات القرآنية[5]، إذ اعتبرت أن القرآن ليس مجرد نصوص لغوية يمكن إدراك معانيها بالطرق الظاهرة فقط، بل يحمل أبعاداً روحية تتجاوز المعاني الظاهرة، وبالنسبة للصوفية كانت الآيات القرآنية تجليات لله

---

[1] سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ج1، تح:محمود فهمي حجازي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1991م، ص59.

[2] عبد الحليم، طارق، قراءات حول العقل العربي، مجلة البيان، العدد10، التاريخ1988م، ص24.

[3] القرآن الكريم، يونس، الآية 44.

[4] حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، ج3، دار النهضةالمصرية، مصر، ط7، 1965، ص214.

[5] الذهبي، محمدالسيد حسين، التفسيروالمفسرون، ج2، دار وهبة، القاهرة، ط1، ١٤٣١هـ، ص318.

سبحانه وتعالى، وكل آية تحمل سراً قد لا يدركه إلا من يمر بتجربة روحية أو تأمل داخلي عميق، من خلال هذا التفسير الروحي، يؤمن الصوفيون أن القرآن يحتوي على معاني غير مرئية ترتبط بالقلب الروحي للإنسان، وأن الهدف من القرآن ليس مجرد الفهم الظاهري ولكن الوصول إلى تنقية القلب والروح[1].

فمثلاً في تفسير قوله تعالى:(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَالدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[2]، يذهب المفسرون الظاهريون إلى أن الآية تدعو إلى العبادة والطاعة في وقت معين، إذ يشير الفهم الظاهري إلى أن هذه الآية تذكير للمؤمنين بالقرب الإلهي وأن الله قريب من عباده في أوقات الشدة والدعاء، بينما في التفسير الصوفي، يتم التأكيد على إشارة الآية السابقة لعلاقة باطنية أعمق، وأن القرب الإلهي يعني قرباً في القلب والعقل والروح، وهي دعوة للمؤمنين للتأمل في العلاقة الروحية الحميمية بين العبد وربه، يُنظر إلى الآية هنا على أنها تعبير عن الرحلة الروحية التي يمكن أن يخوضها المؤمن للوصول إلى أعلى درجات الفهم والتقوى، إن إضافة هذه الأبعاد الروحية والفلسفية إلى التفسير القرآني لم تقتصر فقط على مذاهب المعتزلة والصوفية، بل أثرت أيضاً على المدارس الفكرية الأخرى، مما ساهم في توسيع نطاق الفهم القرآني، على سبيل المثال، المدارس التفسيرية الأخرى، كالتفسير الفلسفي الذي اهتم به المفكرون مثل ابن رشد[3]، الذي كان له تأثير بالغ بتحليل النصوص القرآنية الكريمة باستخدامها للمنطق الأرسطي، التي اعتبرت أن القرآن يحتوي على معاني عقلية تناسب كل عصر، إلا أنهم ربطوا هذه المعاني مع الحقائق الكبرى الشاملة للكون والحياة. وأتاحت هذه التعددية في التفسير للمسلمين خلال العصور أن يتعاملوا مع القرآن الكريم بطريقة أكثر شمولية إذ تبرز فيه الجوانب الفكرية والروحية والأخلاقية، ومن أبرز الأمثلة على هذا التوسع هو تفسير قول الله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[4]، إذ أن التفسير الظاهري يدعو إلى تأمل الكون والخلق كدليل على قدرة الله وعظمته، لكن المفسرين الباطنيين ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فاعتبروا أن هذه الآية دعوة للتأمل في الله نفسه، وفيما خُفي من معانٍ كامنة وراء كل شيء مادي في الكون، كما أن هذا التفسير الباطني كان له دور كبير في فَتح آفاق جديدة لفهم بعض الآيات التي كانت في السابق تُفهم بشكل تقليدي وحرفي، وهو ما يمكن أن نراه بتفسير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "القرآن هو النور المبين، والذكر الحكيم والصراط المستقيم"[5] إذ أصبح التفسير يتناول ليس فقط الهداية الظاهرة ولكن الهداية الباطنية المحتاجة للتفسير الروحي.

---

[1] الباكستاني، إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط1، 1986م، ص251.

[2] القرآن الكريم، البقرة، الآية 186.

[3] ابن رشد: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ض الأندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف. من أهل قرطبة، عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة، له مصنفات كثيرة، كان دمث الأخلاق، حسن الرأي. عرف المنصور (المؤمني) قدره فأجله وقدمه. واتهمه خصومه بالزندقة والإلحاد، فأوغروا عليه صدر المنصور، فنفاه إلى مراكش، وأحرق بعض كتبه، ثم رضي عنه وأذن له بالعودة إلى وطنه، فعاجلته الوفاة بمراكش، ونقلت جثته إلى قرطبة، ويلقب بابن رشد الحفيد. ينظر: ابن الأبار، محمد بن عبدالله، التكملةلكتاب الصلة، تح:عبدالسلام الهراس، مؤسسة الفكر للطباعة، لبنان، ط1، 1995م ص269.

[4] القرآن الكريم، آل عمران، الآية 190.

[5] الهندي، علي المتقي بن حسان الدين، كنز العمال، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1985، ص517.

خلاصة القول، إن تأثير بطن القرآن في تطوير التفسير القرآني قد أسهم في توسيع نطاق الفهم للقرآن الكريم ليشمل أبعاداً متعددة، مما جعل القرآن الكريم يتجاوز حدود الفهم التقليدي، إذ عمل مفهوم بطن القرآن على إثارة الفكر الفلسفي والروحي والعقلي، وبالتالي ساهم في نشوء مدارس تفسيرية متعددة تركز على معاني باطنية وفلسفية إلى جانب المعاني الظاهرة، وهذه المدارس أضافت بعداً جديداً لفهم القرآن، مما جعل التفسير القرآني أكثر تنوعاً وثراءً.

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة عن بطن القرآن الكريم لدى المفسرون وأثره في التفسير، فقد تمكنت الدراسة من الوصول لعدة نتائج كان من أهمها:

- أكّدت الدراسة إن دراسة "بطن القرآن الكريم" تبرز كأحد المفاهيم الهامة في إطار التفسير القرآني، فيعكس الفهم المتجذر للنصوص القرآنية، ويتيح فرصة لاستخراج معاني رمزية وباطنية تتجاوز الظاهر، وهذا المفهوم يساهم في إظهار أبعاد غير مرئية للآيات القرآنية، مما يعزز الفهم الشامل والتكاملي للقرآن الكريم.
- كشفت الدراسة عن التعدد المتنوع في مناهج المفسرين بتفسير بطن القرآن، فبينما اعتمد بعض المفسرين على التأويل العقلي، انفتح آخرون على التفسير الرمزي الروحاني، كالمفسرين الصوفيين، فقدم كل منهج رؤية مختلفة حول معاني القرآن الكريم، مما يعكس تعددية الفهم القرآني واختلاف السياقات الفكرية بين العصور.
- بيّنت الدراسة دور بطن القرآن في تطور التفسير، إذ ساهم مفهوم بطن القرآن في إثراء التفسير القرآني، خاصة في المدارس التي اهتمت بالجانب الرمزي أو الباطني للنصوص، وقد أسهم هذا الفهم في تحديث مدارس التفسير المتباينة، كالمدرسة المعتزلية والصوفية، ما أدى إلى فتح أفق التأويل وتقديم تفسيرات تتجاوز المعاني الظاهرة للألفاظ.
- أظهرت الدراسة الصعوبات التي واجهها المفسرين في التعامل مع بطن القرآن، خاصة في تحديد حدود التفسير الباطني وكيفية تحاشي الوقوع بالتأويلات المفرطة أو المنحرفة، فهذه التحديات تتطلب دقة وفهماً عميقاً لضمان صحة التفسير وعدم الخروج عن المقاصد الأصلية للقرآن الكريم.
- بيّنت الدراسة أنه وبالرغم من الاهتمام الكبير بهذا الموضوع في العصور السابقة، إلا أن دراسة بطن القرآن لا تزال تلعب دوراً أساسياً في الفهم المعاصر للقرآن الكريم، فالعديد من العلماء والمفكرين المعاصرين يستمرون في البحث بهذا الإطار، مما يفسح الطريق لفهم أعمق وتفسير يتلاءم مع تطورات العصر.
- أوضحت الدراسة إمكانية تحقيق الفائدة من بطن القرآن في تسوية قضايا معاصرة من خلال استنباط معاني باطنية تتعلق بالحقوق، والعدالة، والأخلاق، والسياسة، فالتفسير الباطني يمكن أن يقدم حلولاً جديدة للتحديات المعاصرة، وهو يساهم في تنمية الفكر الإسلامي بشكل يوافق ومتطلبات العصر الحديث.

التوصيات:

- تشجيع البحث المتخصص في التفسيرات الباطنية إذ يُوصى بالحث على الدراسات الأكاديمية المتناولة لمفهوم بطن القرآن الكريم من خلال المنهجيات المتنوعة، فينبغي تخصيص بحوث متعمقة تركز على كيفية تفسير المعاني الباطنية للآيات القرآنية عبر مختلف العصور، والتعرف على الأساليب التي استخدمها المفسرون الكبار في تفسير هذه المعاني.
- تطوير مناهج تعليمية في التفسير القرآني فيُوصى بتطوير مناهج تعليمية بالجامعات والمدارس الإسلامية تشمل تدريس التفسير الباطني ومفاهيم بطن القرآن بشكل شامل، إذ

يجب أن تكون هذه المناهج متوازنة، ما يسمح للطلاب فهم التفسير الظاهري والتفسير الرمزي بشكل متكامل، مع التركيز على كيفية الربط بين المعاني الظاهرة والمعاني الباطنية.

- يُوصى بتنظيم مؤتمرات علمية وندوات فكرية جامعة لعلماء التفسير المعاصرين من كافة مدارس الفكر لدراسة تأثير بطن القرآن الكريم في التفسير، فهذه الفعاليات يمكن أن تساهم في تعزيز الفهم المشترك للمفهوم وتوفير منصة للحوار بين مختلف التوجهات الفكرية حول التفسير الباطني.
- يُوصى بتطبيق المفاهيم الباطنية للقرآن الكريم في معالجة المسائل العصرية، كمسألة العدالة الاجتماعية، حقوق الإنسان، والأخلاق، مما يعزز من فعالية التفسير القرآني في تقديم الحلول العملية للصعوبات التي قد يواجهها المسلمون في العالم المعاصر.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إبراهيم زكي خورشيد، موجزدائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة، ط1، 1998.
٢. ابن الأبار، محمد بن عبدالله، التكملةلكتاب الصلة، تح:عبدالسلام الهراس، مؤسسة الفكر للطباعة، لبنان، ط1، 1995م.
٣. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م.
٤. ابن العماد، عبدالحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: شعيب الأرناؤط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1986.
٥. الإسنوي، جمال الدين عبدالرحيم ، المهمات في شرح الروضة والرافعي، تح: أبو الفضل الدمياطي، أحمد بن علي، دار ابن حزم، ط1، 2009.
٦. آمدي، عبدالواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، دار الهادي، بيروت لبنان، 1992م.
٧. الباكستاني، إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط1، 1986م.
٨. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، ج3، دار النهضةالمصرية، مصر، ط7، 1965.
٩. الذهبي، محمدالسيد حسين، التفسيروالمفسرون، ج2، دار وهبة، القاهرة، ط1، ١٤٣١ه.
١٠. سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ج1، تح:محمود فهمي حجازي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1991م.
١١. شريف، صلاح الدين، العقل عند المعتزلة، مجلة الرسالة، العدد377، تاريخ1940 م.
١٢. الطيار، مساعد، التفسير بالرأي مفهومه حكمه أنواعه، مجلة البيان، العدد127، تاريخ1998م.
١٣. عبد الحليم، طارق، قراءات حول العقل العربي، مجلة البيان، العدد10، التاريخ1988م.
١٤. علي بن ابراهيم القمي، تفسير القمي، مؤسسة دار الكتاب، قم، إيران، ط3، 1404ه.
١٥. الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1974.
١٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمه الأطهار، ج67، دار الوفاء، بيروت، لبنان، ط2.
١٧. محمد الريشهري، ميزان الحكمة، دار الحديث، قم المقدسة، ط1، 1375.

١٨. النبهـان، محمـد فـاروق، المـدخل إلـى علـوم القـرآن الكـريم، مؤسسـة عـالم القـرآن، حلـب، ط1، 2005م.
١٩. الهندي، علي المتقي بن حسان الدين، كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1985.